جرائم الحكّام
في جزائر الإسلام

الإهـــــداء

رأيت و أنا أكتب هذه الصفحات أن أقدّم إهداء إلى أولئك الأبطال الأخفياء الذين يصاغ تاريخ الأمّة بدمائهم و آلامهم..و لا من يكتب عنهم أو ينشر قضيّتهم لأنّهم غرباء...

غرباء في أهلهم و ديارهم و أوطانهم ،تتقاذفهم شراسة الأبعدين.. وعمالة الخائنين..وخذلان الأقربين..فهم قلّة من قلّة من قلّة !!..فطوبى للغرباء !..

تراهم في قمم الجبال مطاردين مشرّدين ..لكنّهم أعزّة بدينهم، يسلّون سيوفا للحق طالما أغمدت..و يحيون معان طالما طمست..و يؤمنون بالنصر في زمن رغمت فيه أنوف وأنوف!!..

ينظرون من تلك القمم إلى الباطل كيف يزهو فوق الأرض ويعربد..فيقتل هذا..و يسجن هذا..و يذلّ آخرون..فيعلمون أنّها مزنة صيف عن قريب ستنجلي..وأنّ بعد الليل فجرا لابد آتيا.. وبعد العسر يسرا للمستضعفين شافيا..وأنّه إن كان للباطل صولة فلابد للحق من جولة ..و العاقبة للمتّقين!!..

ليس لهؤلاء الغرباء ما يهابون!..فلذلك أبصروا الحق..و صدعوا بالحق..و قاتلوا و قتلوا على الحق !!..أيهابون الموت ؟..فهم أحرص الناس على الموت!..أم يهابون ضياع الملك؟!..فليس لديهم ما يملكون غير رشّاش ورصاصات..و جعبة وتمرات!!..

يقول عنهم أعداؤهم أنّهم إرهابيون..وصدقوا وهم الكاذبون!..فإنّهم يرهبون أعداء الله و رسوله.. يرهبون الإرهابيين الحقيقيين للأمّة،الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد،فقتلوا المستضعفين و شردوا الصّالحين و أذّلوا المسلمين !..

فإليكم أيّها الغرباء المجاهدون في كل مكان ..أهدي هذه الكلمات.

و إليكم أيها الغرباء المعذّبون في سجون الظّلمة ..أهدي هذه الكلمات.

و إليكم يا أنصار الجهاد حيثما كنتم و أينما و جدتم ..أهدي هذه الكلمات.

طوبى لكم تحيون دوما بالرصاص و بالقنابل!

لا بالخطابات العريضة و التماوت و التخاذل!

و فلول إرجاء سرى في أمّتي كالسم قاتل!

المقـــدّمة:

الحمد لله القائل في كتابه :(و مالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال و النساء و الولـــدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظّالم أهلها و اجعل لنا من لدنك وليّا و أجعل لنا مـــن لـــدنك نصيرا)،و الصلاة و السلام على نبي المرحمة و الملحمة وعلى آله و صحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم يـــوم الدين و بعد:

فهذه رسالة كتبتها لإخواني المسلمين في الجزائر خاصّة،و في بلاد الإسلام عامّة،لتحسيسهم بمعاناة إخوانهم في غياهب السجون،وتحت سياط الجلاّدين،تنتهك أعراضهم،و تسحق عظامهم،و تقطر دمائهم، وتزهـــق نفوسهم،و هاهي زفراتهم و صرخاتهم تسمع هنا و هناك.. وهاهي دموعهم ودمائهم قد امتزجت لتكتـــب لنا صفحة حمراء ستبقى شاهدة على جرائم الحكّام في جزائر الإســـــلام.

كتبتها لمّا رأيت صمتا مطبقا،و برودة عجيبة في التفاعل مع الأحداث، و كيف يذبح خيرة أبناء الأمّة في صمت،و لا من يتحرّك قلبه أو يؤنّبه ضميره،و قد خرجت جيوش الإسلام في زمن المعتصم عن بكرة أبيها لمّا بلغتهم صرخة إمرأة مسلمة واحدة تستنجد بهم و تقول "وا معتصماه"..

فكيف بنا اليوم و قد سمعت خلال هذه السنوات صرخات و صرخات لأخواتنا المسلمات و قـــد دنّـــس أعراضهن الطغاة،و صيحات آلاف من الشباب المسلم ينكّل بهم و يفعل بهم ما يندى له الجبين،و المسلمون ساهون لاهون في غمرة الشطحات والسهرات،و هم بين لاهث وراء خبزة المذلّة،و مشتت ذهنـــه كيـــف يفوز بمنصب عمل في زمن البطالة،وصريع للمسكرات و المخدرات قد ملأ رأسه بالحشيشة عساه يحلّق و لو ساعة في سماء الأوهام فينسى الهموم و الآلام،و آخر عارف بحقيقة الأوضاع،و ما آلـــت إليـــه الـــبلاد،من خراب و فساد،و لكنّه مكمّم فاه،قد وُعظ بمصارع الذين صدعوا بالحق قبله،فسكت و أحجم، و قعـــد و لم ينهض،و لم يدر المسكين أنّه أكل يوم أكل الثور الأبيض.

و لقد نجح فراعنة اليوم إلى حد كبير في أن يعزلوا جماهير المسلمين عن قضايا أمّتهم، و عن نصرة الإســـلام الذي تستباح أرضه و مقدّساته،و أشغلوهم في أنفسهم،وفي بطونهم و شهواتهم..فيا فرحة الطغاة..و يـــا فرحة أعداء الإسلام و هم ينظرون إلى الجموع الغفيرة وهي تحتسي قهوة المساء و تشاهد الأخبار،و تـــرى بأمّ عينيها ما يقاسيه إخوانهم و ما يصيب الإسلام و أهله من كل طاغية و زنديق،فلا تهتز قلـــوبهم لـــذلك وكأنّ الأحداث تجري في موزمبيق،ثمّ يهنأ بالهم فيستلقون بعدها ليغطّوا في نوم عميق..

لقد كتبت هذه الكلمات كي لا تمحى آثار الجريمة فتصبح نسيا منسيّا، و لكي يبقى الثّأر متأجّجا في القلوب يتناقله جيل عن جيل،فلا تشفى الصدور حتّى يذبح آخر جنرال بأمعاء آخر وزير،فيفرح ذلك الطّفل اليتيم الذي طالما سأل عن والده فيما قتلوه ؟..و تلك الثكلى التي طال إنتظار زوجها الطريد من جبل إلى واد،وحتى يشبع ذلك المحبوس من الهواء النقي بعد أن خنقت ظلمة الزنزانة أنفاسه سنوات و سنوات، وحتى لا تذهب سدى و هدرا تضحيّات مئات الآلاف من الشهداء والجرحى والأسرى وهم يمضون و قد احترقت قلوبهم شوقا على رؤية ذلك اليوم الذي تعلو فيه راية الإسلام خفّاقة فوق ربوع الجزائر.

لقد كتبت هذه الكلمات و أنا واحد من إخواني المجاهدين،أعيش همومهم وأتألّم آلامهم،ونحن في لهب المعركة،تحت قصف القنابل المدوّي وأزيز الطّائرات ووهج الرصاص الذي أصبح أنشودة نستعذبها،و ما من أيّام تمر إلاّ و فيها أنباء محزنة عن حبيب قد فقدناه بعد أن أصابته قذيفة هناك،أو رصاصات هنا فمضى شهيدا إلى ربّه،مطمئنّ البال، وهو يعلم أنّ إخوانه سيرفعون الراية من بعده،و نحن و الله فرحون بهذه الحال و راضون بها لأنّها صفقة قد عقدناها مع الله و من أوفى من الله،و قد ارتضينا أن نتصدّر الموقف دفاعا عن الأمّة و عن حرماتها و دينها،و لكننا نحب الخير لإخواننا المسلمين كما نحبه لأنفسنا ولا نرضى للشعب الجزائري المسلم أن يستهويه موقف المتفرج على الأحداث،فالقضية قضيّتهم..و الإسلام إسلامهم...والجهاد جهادهم... و الجرائم التي ارتكبها الحكّام هي في حق إخوانهم و أبنائهم و أخواتهم و أزواجهم...

و قد سقطت الأقنعة فلا يغتر البسطاء بالأقنعة الجديدة التي لبسها جلادو الأمس مصالحو اليوم،و راحوا يسمّونها تمويها و خداعا بالمصالحة و الوئام،و بث روح التسامح و السلام، و هل يصلح العطّار ما أفسده الدهر؟ و هل بهذه السذاجات و الخدع تزيّن تلك الوجوه المجرمة قبّحها الله.

لأجل هذا و ذاك،و لأجل أن تبقى قضيّة الجهاد حيّة في النفوس تحدوها نحو الأمل المنشود،ولأجل أن تكون سابقة خير لكل داعية منصف، و ناصر للقضايا العادلة من أبناء الإسلام و من غيرهم،فيستحثّوا أقلامهم ليكشفوا عن الحقيقة كما هي..فإن أبناء الإسلام في الجزائر ينكّل بهم و لا بواكي لهم..!.

لكل ذلك كتبت هذه الكلمات و الله أسأل أن تجد آذانا صاغية و قلوبا واعية،و أن يجعلها في ميزان حسناتنا يوم أن نلقاه و صلّ اللّهم على محمد و على آله وصحبه و سلّم.

كتبها: صلاح أبو محمّد.

قضيّة السجون والتعذيب

" قال لإن إتّخذت إلها غيري لأجعلنّك من المسجونين"
-قالها فرعون و لكل زمان فراعنته-

الحديث عن قضيّة السجون و التعذيب في الجزائر هو حديث ذو شجون، وهي قضيّة قديمة قدم الصراع بين الحق والباطل ،وسلاح القيد والسوط السيف طالما سلّط عبر التاريخ على الدعاة إلى الحق، وقد اعتاد الطغاة إشهاره على المصلحين كلّما أحسّوا بخطر يهدد سلطانهم و طغيانهم و تسلّطهم على رقاب المستضعفين،و هو نفسه السلاح الذي هدّد به فرعونُ موسى حين حاول إستنقاذ بني إسرائيل من بطشه وجبروته، وهو نفسه السلاح الذي عانى منه الإمام أحمد أيّام الفتنة، و شيخ الإسلام بن تيمية وهو يصدع بكلمة الحق حتّى لاقته المنيّة وهو في سجون الظّلمة.

و إذا كان هذا هو حظ القوافل من الصدّيقين والشهداء والصّالحين السّابقين، فإن الحركة الإسلامية المعاصرة كان لها الحظ الوفير والقسط الكبير بعد أن تطوّرت وسائل البطش والتنكيل والتعذيب، وأصبحت من الفنون التي يجيدها أكابر المجرمين.

ولقد كانت مسألة المناداة بتحكيم شريعة الإسلام التي أبعدت عن واقع النّاس، وتحرير بلاد الإسلام السليبة من هيمنة اليهود و النصارى وعملائهم المرتدّين، كانت هذه حلبة الصراع الجديد والمحور الرئيسي للمعركة الدائرة اليوم بين شباب الإسلام المتناثر هنا وهناك في بلاد الإسلام، بين العملاء الجدد الذين إستنابهم أسيادهم من يهود ونصارى.

و لقد إنتشرت كتابات كثيرة من رسائل و دراسات و تقارير عن الإنتهاكات التي ترتكب في حق المسلمين في كثير من الدول العربية و(الإسلامية) كمصر وسوريا، لكنّه من المؤسف حقا أن يطبق صمت رهيب وسكوت فاضح عن المأساة التي عاناها ولا يزال يعانيها الشباب المسلم بأرض الجزائر طوال هذه السنوات،

وكيف لم تسلّط الأضواء رغم هول الجريمة و فضاعة الصورة ورغم أنّ ما قاساه إخواننا في مصر وسوريا خلال ستّين سنة قد ذاق إخواننا هنا في الجزائر مثله و ربّما أكثر منه في عشر سنوات فقط، و يكفي ذكر هذا التركيز الكمي والزمني للتدليل على أنّ الجريمة في الجزائر كانت أبشع و أكبر، والمصيبة في الجزائر كانت أدهى وأمّر!!.

و ليس المقصود من هذه الكتابة المختصرة ذكر الإضطهاد الذي عانت منه الصحوة الإسلامية بعد خروج الكفرة الفرنسيين من أرض الجزائر ثم إستلام الرّاية من طرف عملائهم وأحفادهم من الجنرالات، فهذا مقام آخر قد كتب فيه بعض الدعاة و الكتّاب بصورة محتشمة، و لكن الغرض هو تسليط الضوء على الفترة الممتدّة من فتح المحتشدات والمعتقلات في صحراء الجنوب الجزائري وانطلاق الجهاد المبارك، وبدء المعارك البطولية للشباب المجاهد لإسترجاع دولة الإسلام المنشودة، وهي الفترة التي تمتد من صيف 1411هـ إلى غاية كتابة هذه الكلمات.

والتركيز على هذه الفترة بالذّات مرجعه إلى إعتقادنا أنّ صيف 1411هـ كان منعرجا حاسما في تاريخ الجزائر الحديث ككل، وعلى الحركة الإسلامية في الجزائر بصفة خاصّة، أن مستقبل الإسلام في الجزائر – على حسب فهمنا – ستكون معالمه البارزة متعلقة إلى حد كبير على ما ستفرزه الأحداث الجارية في هذه الفترة، وأهمّ من كل هذا وذاك، هو أنّ الشباب المجاهد الذي حمل السلاح ومثلهم من الدعاة المظطهدين والشباب المعذّبين و من ناصر قضيّتهم،هم وحدهم أبطال حلبة الصراع،و فرسان الميدان بلا نزاع،فبدمائهم و أشلائهم و دموعهم يصاغ تاريخ الجزائر الحديث،و ستعلم الأجيال القادمة صدق هذه الكلمات،و نحن نذكر هذا حتّى تخنس أقلام الإنتهازيّين من راكبي الموجات،و هوّاة قطف الثمار،و المتاجرين بدماء غيرهم،فلا يتجرّأوا على نسبة الفضل لغير أهله، واستثمار تضحيات المخلصين ، هذا إن كان فيهم بقية من عدل وإنصاف.

و عودة إلى ما ذكرنا، فإنّ صيف 1411هـ كان حارا و داميا. و لاتزال ذاكرة الجزائريين تذكر بحزن و أسى كيف بدأ مسلسل القهر والبطش بلا رحمة ولا شفقة..

لقد أدرك أكابر المجرمين في السلطة وهم الجنرالات الخونة، ضبّاط فرنسا بالأمس والذين كان يسمّيهم علي بن حاج "تسعة رهط يفسدون في الأرض و لا يصلحون"، ولقد صدق، فإنّ العارفين بطبيعة السلطة الكافرة في الجزائر يدركون أنّ مقاليد الحكم لا تتعدى هذه المجموعة من الجنرالات، وأنّ البقيّة ماهي إلاّ جنود أو عرائس يتحكّم بها هؤلاء كيف يشاءون.

لقد أدركوا جيّدا خطورة المد الإسلامي الذي اجتاح البيوت والشوارع، وأدركوا أنّ الصحوة الإسلامية قد بلغت نضجا وانتشارا لم يسبق له مثيل، وأنّ قضيّة الإسلام والمطالبة بتحكيمه قد أصبحت قضيّة الجماهير العريضة التي بدأت لا تتهيب و تجرؤ صراحة على المناداة بذلك.

فالخطوط الحمراء قد اجتيزت، ومصالح أبناء فرنسا قد أصبحت مهدّدة،فصار لزاما على فرعون و جلاوزته أن يذبحوا بني إسرائيل..

لقد كانت الخطّة في الجزائر لا تتعدّى جملة بسيطة:"أقتلوا الإسلام و أبيدوا أهله"و لا يهم بعد ذلك عدد الضحايا و لا حجم المأساة، فكل ذلك يهون إذا كان سيؤدي إلى استنقاذ مصالح الشرذمة المجرمة، وإرضاء الأسياد من يهود ونصارى.

و إذا نسينا فلا يمكن أن ننسى المقولة الخبيثة للطّاغية إسماعيل العمّاري-رئيس المخابرات-و هو يقولها صراحة أمام مجموعة من كبار الضبّاط في مركز التعذيب شاطوناف:"إنّنا مستعدّون للقضاء على ثلاثة ملايين جزائري حتّى يستتب الأمن"، وهم طبعا سيقنعون بهذا العدد إذا كسرت شوكة الإسلام والمسلمين، أمّا إذا لم يتحقق ذلك فهم مستعدّون لقتل الشعب الجزائري المسلم عن بكرة أبيه ثمّ يختموا ذلك بحفلة ماجنة فوق الأشلاء و الجماجم إحتفالا بالنصر المؤزر.

نقول هذا كي يتفطّن الناس و يعرفوا النفسيّة الخبيثة لهؤلاء و مدى الحقد والغيظ الذي تكنّه قلوبهم للإسلام و المسلمين.

و هكذا بدأ تنفيذ الخطّة بحذافيرها،و كانت أولى الحلقات هي فتح المحتشدات والمعتقلات في صحراء الجنوب الجزائري،و سيق أبناء الشعب الجزائري المسلم إليها أفواجا و زمرا، بلا تهم و لا محاكمات ولا حتّى معايير محدّدة للإعتقال،بل كان يكفي بعض المظاهر الإسلامية كاللحية والقميص والقلنسوّة حتّى يدخل المرء في قائمة المغضوب عليهم، ولقد طالت الإعتقالات كل شرائح المجتمع،و لم يعذر لا الشيوخ و لا المرضى و لا الأطفال و لا حتّى المجانين، وكان زوّار الليل لا يأبهون لصراخ النساء والأطفال وهم يرون أباهم أو أخاهم يقتاد إلى مصيره المجهول، وحتى المشي في الطرقات وأنت تلبس الزي الإسلامي كان لوحده تهمة كافية لتنهال عليك اللطمات والركلات ثمّ يقذف بك داخل أقفاص الإعتقال لترسل مباشرة إلى الصحاري.

و هكذا دخل في قاموس الكلمات المرعبة التي انتشرت في الشارع الجزائري أسماء عديدة: كعين مقل، وواد النّاموس، وعين قزّام، وإليزي،...وغيرها من المحتشدات القاسية التي لا تتوفر على أدنى ظروف المعيشة،

خاصّة في الصيف حيث كانت درجات الحرارة تتعدّى الخمسين درجة، أظف إلى ذلك سوء التغذيـــة، و نقصان المياه، وأكبر من هذا المصير المجهول و سبب الإعتقال، فهما سؤالان لا جواب عليهما: لمـــــذا؟ و متـــى؟..

نفس الشيء يقال بالنسبة للأعداد الحقيقية للمعتقلين عند بداية الحملة،لكن من المؤكّد أنّها تربـــوا علـــى عشرات الآلاف فما من بيت أو حي أو بلدية إلاّ و مسّتها تلك الحملة الجائرة.

و لا يزال الجزائريون يتذكرون جيدا الكلمات الإستفزازية التي أطلقها الطّاغية الهالك "بوضياف"و هو يطّل عليهم بطلعته القبيحة في تصريح رسمي موجّه للشعب و الشعب لم يضمّد جراحه و عائلات المعـــتقلين لم تكفكف بعد دموعها فقال قبّحه الله"لقد رمينا بثلاثة آلاف في الصحراء ونحن مستعدّون لأن نرمي بثلاثـــة آلاف أخرى كذلك".

لقد كان هذا التصريح بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس وكان هذا المجرم هو أوّل رئيس جزائري يتجرّأ بكل برودة على استفزاز مشاعر النّاس، وكان هذا كافيا لأن تمتلئ منه قلوب المسلمين بغضا و حقدا و حنقا، و راحت أيادي الجموع الكثيرة ترفع في جوف الليل الآخر بالدعاء لله عزّ و جلّ أن ينتقم منه ويأخذه أخـــذ عزيز مقتدر، و كان منظرا متكررا و مؤثّرا و تحدّيا صارخا للسلطة أن أصبح دعاء القنوت عقب الصلوات يسمع في كل الأحياء وهم يردّدون "اللهمّ عليك ببوضياف"، وارتفعت أدعية المظلومين لتختـــرق عنـــان السماء ليس بينها و بين الله حجاب،فجاء الردّ سريعا و شافيا و أمام مرأى ومسمع العالم بأسره في صورة استعراضية لم يسبق لها مثيل في تاريخ الجزائر الحديث.

لقد مكّن الله أحد الحراس الشخصيّين لبوضياف وهو الأخ بومعرافي ليفرغ في رأس الطّاغية خزّانا كاملا من الرصّاص، و ماهي إلاّ لحظات حتّى تصبح الجثّة هامدة و سط بركة من الدماء فكانت آية من آيات الله في تنكيله بأعدائه وإمضائه لسنّته الجارية في مصارع الظّالمين.

لم يلبث خبر مقتل الطّاغية بوضياف أن انتشر سريعا و تناقلته وسائل الإعلام الدّاخلية و الخارجية، و تلتـــه موجة عارمة من الفرح الذي بدا واضحا على عموم الشعب الجزائري، بل لم يملك الكثير نفسه من شـــدّة الفرح و راح يصرخ معبّرا عن فرحته بإنتقام الله عزّو جل .

و أذكر حينها أنّنا خرجنا في مسيرات بالجامعات نظّمناها انطلاقا من مسجد الجامعة لنعبّر عـــن فرحتنـــا ونسمع الظّلمة ما يكرهون، و أذكر أنّه من الشعارات البارزة التي كنّا نردّدها "لا إله إلاّ الله، بوضياف عدوّ الله".

كان يوم الجنازة فرصة أخرى للشعب الجزائري للتعبير عن فرحته، لكن السلطة آنـــذاك أرادت أن تعطـــي صورة أخرى للرّأي العام الدولي، صورة الشعب الملتحم مع حكّامه، صورة الجماهير التي تبكي بحرقة على فقدان الزعيم، و هي الصورة التي كانت مغايرة تماما للواقع و للحقيقة.

و لتمرير الصورة الزّائفة إصطفّت حشود كثيرة من أفراد المخابرات على حافّة الطريق المؤدّيـــة إلى مقـــبرة العالية، و نصبت الكاميرات وأمامها نساء مرتزقات يخمشن وجوههن و يصرخن ببكـــاء مـــصطنع علـــى الطاغية الذي يقاد ليلقى مصيره في ظلمة القبر.

لكن الإخوة الذين حضروا بقوّة ذلك اليوم لم يكونوا ليفوّتوا الفرصة دون أن يشوّشوا على تلك الـــصورة المصطنعة، و راحوا يهتفون بشعارات معادية كانت من القوّة بمكان بحيث لم تستطع أيدي الرقابة في التلفزة الوطنية رغم تدخّلها عدّة مرّات أن تكتم تلك الأصوات و هي تنقل الحدث على المباشر.

و قد حدثت يومها عدّة اصطدامات بيننا وبين الشرطة و المخابرات و أذكر حينها قصّة طريفة حـــدثت لي يومها، و هي أنّني كنت في بداية إلتزامي الإسلامي جدّ متأثر بشخصية الصحابي الجليل ابن مسعود رضـــي الله عنه، حيث أنّه كان من السبّاقين الذين جهروا بلا إله إلاّ الله على مسمع من قريش، و هي الكلمة التي كانت تغيظهم كثيرا، و كيف أنّه رضي الله عنه نال قسطا وافرا من الضرب المبرح و هو الرجل النّحيـــف الجسم حتّى أغمي عليه و كاد يلفظ أنفاسه، فقلت في نفسي حين رؤيتي لإقتراب موكب الجنازة: والله هذه فرصة لإغاظة هؤلاء المجرمين و إسماعهم كلمة يبغضونها، و زاد من تشجّعي تذكري لقوله عليـــه الـــصلاة والسلام:"أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"، وكذلك تذكّري للجـــرائم الـــتي ارتكبـــها ذلـــك الطّاغية،و ماهي إلاّ لحظات حتّى و صلت الشاحنة التي كانت تتوسط الموكب، و تحمل جثمان الطّاغيـــة، فاخترقت الجموع و رحت أردّد بأعلى صوتي "بوضياف عدوّ الله" فلم ألبث قليلا حتّى أحاط بي كثير من المخبرين وراحوا ينهالون عليّ باللطم والركلات لكن الإخوة الذين كانوا بعين المكان لم يسلموني لهم بـــل جاء المدد و اشتبكوا مع المخبرين فإغتنمت الفرصة لأهرب من بين أيديهم، وراح الإخوة يـــرددون نفـــس الشعار بقوّة فتدخلت فرق من قوّات الشرطة واختلط الحابل بالنابل.

لقد كانت هذه هي الأجواء السّائدة آنذاك،ذكرتها لكي يعلم مدى الغضب الـــشعبي العـــامّ،و كيـــف أنّ الأجواء كانت ملتهبة ومكهربة بعد إبتداء مسلسل الإعتقالات والمحتشدات التي فتحت بالصحراء من طرف هذا الطّاغية الذي جيء به من المغرب بعد سنوات لتنفيذ المهمّة القذرة.

و الحديث عن هذه الجريمة الأولى،جريمة محتشدات الصحراء هو حديث لابد منه كتمهيد لسرد الأحـــداث الدّامية التي تتابعت حلقاتها فيما بعد معلنة بداية الصفحات السوداء لملف التعذيب و السجون.

بداية مسلسل التعذيب

لقد أثبتت التجربة السياسية للجبهة الإسلامية للإنقاذ الفشل الذريع للطرق السلمية في اســـترجاع دولـــة الإسلام،إذ كيف يمكن لطرق نشأت في مناخات غربية أن تنجح في أجواء تسودها لغة الحديد و النّـــار،و هي مع كونها طرق تفتقر إلى المعرفة الحقيقية لأعداء الإسلام فهي مخالفة أيضا لسنّة من سنن الله عزّ و جلّ في التغيير،ألا و هي سنّة التدافع.

و لقد كان خروج الدبّابات إلى الشوارع،ثمّ الإعتقالات الواسعة التي طالت رجالات الجبهة و على رأسهم علي بلحاج وعبّاسي مدني و ما تلا ذلك من الزّج بشرائح عريضة من الـــشعب الجزائـــري المـــسلم إلى المحتشدات،كانت تلك الضربات كافية لوحدها كي يتنبّه الغافل و يستيقظ النّائم بعد أن استمتع بـــأحلام كثيرة بيضاء..!.

و كان من الدروس القاسية و العبر المستخلصة:

أن لا دعوة إلاّ بسيف يدافع عنها !

و أن لا كتاب يهدي إلاّ بسيف يحمي !

نقول هذا مع أنّنا لا ننكر الفضل الكبير لتلك التجربة من نشر الدعوة وتوعية الجماهير و إظهار الـــصورة الطيبة لأبناء الإسلام بعد أن جرّب النّاس غيرهم.

و لكن من فضل الله عزّ و جلّ أن تلك القناعات السياسية لم تكن عامّة بل كانت هناك قناعة جهادية تنمو و تزداد يوما بعد يوم و لم تزدها تلك الأحداث إلاّ رسوخا و إنتشارا لدى كثير من الشباب.

و لقد سبق رجال أخفياء..و أبطال أتقياء..و فرسان أقوياء..ففجّروا المعارك الأولى للجهاد معلنين بـــذلك رفضهم لأن يمرّغ أنف الإسلام في التراب،فأربكوا بذلك الحسابات الخاطئة للسلطة و التي كان الإعتقـــاد السّائد فيها أنّ تلك الضربات كافية وحدها لإستئصال شجرة الإسلام من جذورها،و لكن هيهات!.

و هكذا لم يقنع الجلاّدون بالإعتقالات السابقة و المحتشدات الصحراوية بل كان لا بد من قمع أبشع مـــن ذي قبل يسلّط على هذا الجيل النّاشئ الذي لم تزده المحنة إلاّ صبرا و ثباتا فأبى أن يركع مع الرّاكعين.

و راحت حلقات البطش تزداد ضراوة و ضراوة..معلنة بداية مسلسل التعذيب الرهيب..

لقد بدأت آلة التعذيب دامية بلا رحمة و لا شفقة،و راحت تطحن وتطحن،فأزهقت النفوس، والتهبت السياط،وتكسّرت الهراوات، وارتعشت الأعضاء من الكهرباء،و سحقت العظام،ونهشت الكلاب اللحوم ، مزّقت الأجساد، وانتهكت الأعراض، و تفحّمت الجثث في غياهب الأفران...

كانت التعليمات التي ترسل آنذاك من القيادات العسكرية:كل الطرق جائزة لإستخراج الإعترافات، و لترويض الخارجين عن الصّف.

فلا حدود أخلاقية تحترم في ذلك،و لا حقوق الإنسان التي طالما تشدّقوا بها تردعهم عن ذلك،و لا حتّى قوانينهم التي كانوا هم أوّل من داس عليها و كفر بها حين تعلق الأمر بأبناء الإسلام الذين لا حيلة لهم و لا قوّة.

كانت الدّماء تسيل بغزارة على طاولات التعذيب،و أعداد الضحايا تزداد يوما بعد يوم لتنظاف إلى قافلة الشهداء التي بدأت تكبر و تكبر،فما من مخفر للشرطة أو الدرك أو المخابرات و ما من حيّ من أحياء العاصمة أو بقية الولايات الجزائرية بشتّى دوائرها إلاّ و أصبح مرتعا خصبا لتلك الكلاب البشرية تمارس فيه تلك الأساليب الخسيسة والطرق الوحشية التي فاقت كل تصوّر.

ولقد ذقت جزءاً من ذلك النكال الشديد، وليس من ذاق كمن سمع من بعيد، وكان إخوة كثيرون في سجون الظّلمة يحكون تجاربهم المؤلمة،فما أن تسمع حكاية أحدهم حتّى تنسيك في سابقاتها،وكان يكفي سماع جزء من تلك الحكايات بما فيها من فصول مروّعة حتّى تتوفر لديك المادّة الضرورية لتأليف موسوعة لتلك البطولات المخزية التي خاضها حكّام خونّة تجاه شعب أعزل.

لكن سنكتفي في هذه الصفحات بذكر أهمّ الأساليب التي كانت تمارس في التعذيب بشكل منتشر و متكرر،فالغرض هو الإيجاز و ليس التفصيل،مع أنّه يجدر الإشارة هنا إلى أنّ ما سيذكر الآن هو بخصوص المرحلة الأولى فقط وهي مرحلة الإحتجاز والإستنطاق قبل أن تقاد بعدها إلى غياهب السجون و هذا طبعا إن كنت من المحظوظين،فإن كانت الأخرى فستلفظ أنفاسك و يرمى بك في أحد الأحياء ليقرأ النّاس مع الصباح على صفحات الجرائد أنّه تمّ القضاء على إرهابي أو أكثر في عملية ناجحة للفرق الخّاصة للشرطة.

كان يكفي و أنت تقاد إلى غرفة التعذيب و تدخلها حتّى ينخلع قلبك وأنت ترى إخوانك هناك في جلسات التعذيب يصرخون ويتألّمون،مجرّدين من الثياب و لا تكاد تعرف وجوههم من قفاهم، ولا ظهورهم من صدورهم،و حسبك بتلك القطع من اللّحم المختلط بالشعر والدم و قد تناثرت هنا وهناك

على جدران الغرفة و تلك البرك من الدم الذي يسيل، وتلك الشتائم والعبارات الكفرية التي يطلقها الزبانية مكرّرين لها ومردّدين، فهذه هي البداية دائما وأنت تقاد إلى تلك الغرفة المروّعة تحت وقع الشتائم والركلات واللطمات ثمّ تجرد من ثيابك كما ولدتك أمّك و تكبّل بالقيود لتبدأ معك أساليب التعذيب التي سنذكر بعضها الآن،فمنها:

1-الضرب المبرح بالهراوات الخشبية و القضبان الحديدية و السياط، و يكون هذا بعد أن يلتفّ حول الضحية مجموعة من الزبانية كل قد تزوّد بالأدوات السابقة ثمّ تبدأ الضربات تنهال من كل حدب و صوب وبأقصى ما يستطيع أولئك الجلاّدون، ولا يتّقى في ذلك الأعضاء الحسّاسة كالرأس مثلا بل الأعضاء كلّها تنال حظّها.. فمُقِلٌ و مُكْثِرْ.

ومن الآثار النّاتجة عن هذا الأسلوب أن تكسر العظام وتسقط الأسنان وتشوّه الوجوه وعادة ما يصاحب ذلك نزيف دموي قد يؤدي إلى الوفاة أحيانا، ولا يشفع في هذا الإغماء الذي يتخلّل تلك الجلسات بل هو فاصل قصير لا يلبث أن ينتهي بعد رشّ الماء ليتواصل التعذيب.

2-من الطرق أيضا الصعق الكهربائي و الذي يمارس عادة على الأعضاء التناسلية و يكون في غالب الأحيان بواسطة جهاز خاصّ لذلك،أو بواسطة التيار المتناوب مباشرة و الجلسة قد تطول لساعات عديدة،و من الآثار أن يفقد الرجال شهوتهم ورجولتهم فيفرح لذلك أولئك المجرمون ويقولونها بكل خساسة وتبجح "لن تذوق طعم الزواج أبدا"،و كفى بهذه النتيجة المؤلمة فضلا عمّا يصاحب ذلك من آلام تفوق الخيال.

3-التغريق بالماء أو سوائل أخرى كالصابون والمنظّفات والأحماض و ربّما حتّى الخمر، والتغريق قد يكون بالمنشفة أو في أحواض، والمنشفة هي المستعملة عادة و تسمّى عندنا بالعامّية "الشيفون"وهي طريقة منتشرة كثيرا، وكفى بها ألما أن يحس المرء بخروج روحه لعدّة مرّات وامتلاء الرئة و البطن بعشرات اللترات من السوائل حتّى تخرج من أنفك وأذنيك وما يصاحب ذلك من الآلام الحادّة والإنتفاخ العجيب و القيء الدّائم.

4-فعل الفاحشة بالضحية أو بزوجها، وكم هي المناظر التي يتفطّر لها القلب كمدا لذلك الزوج الذي يؤتى بزوجته أمام عينيه فيفعلون بها الفاحشة وهو مقيد لا يطيق حراكا وهي تصرخ أمامه، و تلك الأخت المسلمة التي يتناوب عليها مجموعة من الجلاّدين يزنون بها وهي تصرخ تستغيث، و كم هم الإخوة الذين يرغمون على فعل اللواط والسوط ينهش لحومهم وكفى بذكر هذه المخازي التي يندى لها الجبين.

5-إدخال الأشياء الحادّة كالزجاجات والقضبان الحديدية في دبر الضحيّة أو في فرجها إن كانت إمـــرأة، وهذه أيضا طريقة شائعة لا تكاد تخلو جلسات التعذيب منها.

6-التحريق، وقد تتفاوت درجاته من الكيّ بالسجائر في الأعضاء الحسّاسة إلى حـــرق بعـــض الأعـــضاء بإستعمال النّار، وقد يصل الحال إلى إدخال الضحيّة بأكملها في الفرن الملتهب، و قد شاهدت أحد الضحايا الذين أدخلوا في فرن وهو عقيد في الجيش الجزائري وأخ ملتزم إتّهمته المخابرات بوضـــع قنبلـــة في وزارة الدفاع عام 1413هـــ،و لقد كان المنظر مرعبا وأنت تشمّ رائحة اللحم المشوي والجسد المفحّم، و لقـــد لفظ أنفاسه رحمه الله رحمة واسعة، كان ذلك في مركز التعذيب بين عكنون وهو من أهمّ مراكز التعذيب للمخابرات الجزائرية حتّى كتابة هذه السطور.

7-إستعمال الثاقبات الكهربائية لثقب العظام والكلاليب لقلع الأظافر ونتف الشعر، وكـــذلك المناشـــير، وجهاز الضغط اليدوي الذي يستعمل لإمساك و تثبيت القطع الحديدية فحوّله هؤلاء المجرمـــون لإمـــساك جمجمة الضحية وضغطها شيئا فشيئا حتّى تنفجر ويختلط المخ بالعظم و الشعر، و لو رحنا نتتبع هذا النوع من التعذيب لطال المقام،لأنّها أساليب تعتمد إلى حد كبير على الثراء الفكري المتوحش لهؤلاء الزبانيـــة و إجتهاداتهم المتنوعة في اختيار الأجهزة و الأدوات الميكانيكية المختلفة لإستخراج أساليب تتنـــوع آلامهـــا بإختلاف تلك الأدوات.

8-التعذيب بالتجويع و العطش و الحرمان من النّوم لعدّة أيّام مع مايتخلل ذلك من إستدعاءات للإستنطاق كل ساعة أو ساعتين و ما يرافق ذلك من إنهيار معنوي و عصبي وإرهاق كبير قد يؤدّي أحيانا إلى الهذيان ثمّ الجنون.

9-التعذيب بالمخدّرات مثل الكوكايين والهيروين وذلك بإكراه الضحية على استنشاقها خلال فترات محدّدة إلى أن يصل إلى درجة الإدمان ثمّ بعدها يحرم الضحية من تناول الكمية المعتادة ولا تعطى له حتّـــى يـــتمّ الإدلاء بما يريده الزبانية من تصريحات، ومعروف لدى المدمنين على هذا النوع من المخدّرات الآلام الـــتي ترافق حرمانهم من الكمّية المعتاد استعمالها.

و ينبغي هنا أن نذكر الخساسة الكبيرة لهؤلاء المجرمين عند كتابتهم لملاحظة في تقرير الإســـتنطاق المرفـــق بالضحية فيه أن الشخص الذي تمّ استنطاقه مدمن على المخدّرات.

10-العزل التّام داخل زنزانات لا يرى فيها الضوء لفترات طويلة قد تصل إلى أشهر عديدة و قد تفـــوق العام و يصاحب هذه الفترة الجوع والعطش والعراء بلا غطاء ولا فراش أظف إلى ذلك البرد القارس والقيد

الذي يلازم الضحيّة والروائح الكريهة المنبعثة، كون الزنزانة هي المكان الوحيد الذي يتغوط فيها المعتقل ، وهذه الطريقة إستعملت كثيرا لإجبار الضعفاء من النّاس على أن يصبحوا مخبرين وعملاء لهؤلاء المجرمين.

فهذه عشرة كاملة من فنون التعذيب المتوحّش و ليست كلّها و قد يتفرّع عنها تفريعات و تنويعات كثيرة،و لولا أنّ الغرض هو إعطاء صورة عامّة لكان هناك ذكر لأنواع أخرى و تفاصيل أشمل،و لكن قد يطول الأمر إذا تتبّعنا كل ذلك.

و ممّا يجدر التنبيه عليه أنّه لا يستلزم إستعمال نوع واحد فقط من هذه الأساليب في جلسة واحدة،بل كل جلسة قد تطول لعدّة ساعات و يصاحبها عدّة أنواع ممّا سبق ذكره،و ممّا رأيته و شاهدته أنّهم يتقاسمون المهام في آن واحد على نفس الضحيّة،فمجموعة منهم يتكلّفون بالرأس بإستعمال التغريق،و آخرون يتكلّفون بالجهاز التناسلي بإستعمال الصعق الكهربائي، و مجموعة ثالثة تنهش الصدر و الرجلين بالسياط ،و هكذا يصبح جسد الضحيّة المسكين قطعة لحم مرتعشة تتقاسمها كلاب بشرية لا مكان للرحمة في قلوبها.

و قبل أن نختم هذا الفصل نودّ أن نذكر أنّ هذه الأساليب قد أصبحت أمرا معتادا يمارس بصورة يومية ومرخّص به من أعلى القيادات في السلطة،و تبعا لذلك فقد برزت عدّة أسماء لمراكز التعذيب و أصبحت أوسمة لامعة،فشاطوناف و بن عكنون و المركزية و كافينياك وغيرها ،هي أسماء لحد السّاعة،و لغاية كتابة هذه الأسطر ستبقى شواهد مروّعة على الجرائم الجبانة المرتكبة في حق أبناء الإسلام من الشعب الجزائري المكلوم.

و يحق لنا بعد هذا السرد لهذه المخازي أن نطرح السؤال المهمّ في هذا المقام:

كم عدد الضحايا الحقيقيين ممن أزهقت نفسه،أو ذهب عقله،أو فقد عضوا من أعضائه،أو أصبح معاقا عالة على غيره،أو رقما من أرقام سجل المفقودين؟؟!..

السلطة المجرمة طبعا هي التي تملك السجلّ الأسود بما يحويه من قوائم و أرقام،و لكن من المؤكد أنّه يربوا على مئات الآلاف و لم لا المليون؟ و ربّما يزيد أو ينقص؟..

فصبرا آل الإسلام في الجزائر صبرا،فإنّ النصر مع الصبر،و إنّ الفرج مع الكرب،و إنّ بعد العسر يسرا،و إنّه من يتّق و يصبر فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين.

سنثأر و لكن لرب و دين ونمضي على سنّة في يقين

إمّا إلى النصر فوق الأنام وإمّا إلى الله في الخالدين

لكأنّما الأحرار في بلدي هم القليل
فليدخلوا السجن الرهيب
و ليشهدوا أقسى رواية
فلكل طاغية نهاية
و لكل مخلوق أجل
هبل..هبل..
(سيد قطب رحمه الله)

السجون المظلمة و المحاكم الظّالمة

كم هي الأعداد الحقيقية لأبناء الإسلام في الجزائر الذين سيق بهم إلى غياهب السجون بلا جرم و لا جريرة؟..

بل كم هي أعداد السجون التي انتشرت بكثرة عجيبة هنا و هناك وعجزت رغم ذلك عن إحتواء الأعداد الهائلة المتزايدة يوما بعد يوم؟..

و كم هي الجرائم المرتكبة هناك في حق ضعفاء عزّل من كل سلاح،إلاّ سلاح الدعاء في هجعة الليل الآخر أن يقصم الله ظهور الجبابرة؟..

الشيخ الدّاعية المجاهد علي بلحاج-حفظه الله و فكّ أسره-هو من السابقين الذين ذاقوا مرارة السجون الجزائرية و تنقلوا بين ظلماتها و ذاقوا الويلات.

و هو من السابقين الذين ذكروا ما يقاسيه أبناء الإسلام هناك في كتاباته العديدة و خطاباته المؤثّرة،و لا تزال محنته مستمرّة إلى اليوم هو وغيره من الإخوة الذين لا يزالون قابعين في وحشة الظلمات،يئنّون ويألمون ولا من يسمع أنينهم في زحمة الأحداث.

و كثير من النّاس يظنّون أنّ السجن هو المكان الذي يقضي فيه السجين عقوبته المحدّدة مع منحه الحقوق البسيطة المخوّلة له في ذلك من مأكل و ملبس ومشرب و غيرها.

لكن الحقيقة المرّة هي شيء آخر تماما،و الصورة المذكورة هي خيالات وأوهام لا تجدها في أحسن السجون الجزائرية،و لا أحسن فيها!.

و الحق يقال:أنّ السجون في الجزائر هي مرحلة أخرى من مراحل التعذيب الطويل،و القتل البطيء للرجال،و مصنع من مصانع قهر العزائم،و ترويض النفوس الأبيّة على الإنحناء.

و من الأهداف المرجوّة:إستخراج نماذج منهكة جسديا و خائرة معنويا،قد نخرها الأمراض المزمنة و أذلّتها السنوات الطويلة المظلمة،و طوّعتها الهراوات و القيود و الركلات.

و من الأهداف الأخرى أن يعتبر المعتبرون،و تصبح الصفوف مستقيمة مستوية،لا ترى فيها عوجا و لا انحناءا و لا انكسار،ففيمن خرج عن الصفوف و رام الإنكار خير رادع و شاهد و اعتبار.

و للتدليل على ما ذكرناه سابقا من أنّ السجون الجزائرية هي وجه آخر لمراكز التعذيب فإنّنا نذكّر النّاس بحدثين بارزين أو قل إن شئت جريمتين بارزتين لم يمكن للسلطة آنذاك أن تكتمهما و لا أن تتستّر عليهما:مجزرة سجن سركاجي و مجزرة سجن برواقية من سنة 1415هـ و قد كان عدد القتلى في هاتين المجزرتين فقط المئات من القتلى.

إذن فالتعذيب داخل السجون والقتل و الإختطاف كانت ممارسات متكررة يعرفها جيدا من تنقل بين السجون الجزائرية خلال هذه السنين.

و قبل الخوض في ذلك نرى أنّه من المنطقي ذكر المحاكمات الجائرة التي تسبق ذلك بعد مرور شهور و ربّما سنوات من الحبس الإحتياطي،و هذه المدّة الكبيرة هي من الإنتهاكات الفاضحة لقوانينهم،فكم من أخ يقضي سنوات عديدة في السجن ثمّ بعدها يحكمون ببراءته فيتساءل المسكين عن مغزى تلك البراءة وقد ذاق مرارة القيد والسوط كل هذه المدّة.

كانت سنة 1413هـ هي فترة الإنطلاق في تولّي زمام القضايا الإسلامية من طرف المحاكم الخاصّة،و هذه المحاكم الخاصّة قد أنشئت خصّيصا للفصل في القضايا المتعلّقة بأبناء الحركة الإسلامية أو كما تسمّيها السلطة تشويها لهم بالقضايا الإرهابية.

والإسم المختار لهذه المحاكم يوحي للفطناء بما يخفي وراءه، فهي محاكم إستثنائيّة مغايرة للمحاكم المدنية والعسكرية، وليس لها أيّ التزام بقوانين القضاء، والهدف منها هو توزيع أقصى العقوبات في أجواء يسودها التعتيم والتستر.

فأوّل مايشدّ انتباهك و أنت تدخل تلك المحاكم هو رؤيتك لتلك الأقنعة السوداء التي تغطّي وجوه القضاة، و أنت تقاد إليهم كالذبيحة تحت وقع الركل و الشتم، وأوّل سؤال يتبادر إلى ذهنك: من هو ذلك الشخص الذي يجلس على كرسي القضاء و قد غطّى وجهه بقناع أسود؟!..

فمن يدري ، ربما يكون هو نفسه ذلك الجلاّد الذي كان ينهش لحمك منذ أيّام في مركز التعـــذيب؟!..أو ربّما هو ذلك الضّابط في المخابرات الذي رأيته في أحد أقسام الشرطة؟! فالله أعلم.

أذكر أنّه من المضحكات المبكيات ما عرفه الإخوة عن أحد القضاة الهالكين ممّن قتلهم إخواننا المجاهـــدون فيما بعد، و هو المدعو:"القنطري" حيث كان هذا الخبيث يتلاعب بالأحكام بصورة عجيبة، فكان مـــثلا ينظر إلى المتّهم نظرة إستهزاء ثمّ يسأله: كم عدد الأزرار في الثياب التي تلبسها؟! فيقول المسكين مثلا:20، فيجيبه الخبيث بكل إستهتار: إذهب فقد حكمت عليك بعشرين سنة حبسا نافذة!!.

و ربّما يقول في بداية الجلسة للإخوة المراد محاكمتهم: لقد جئت اليوم وفي حوزتي مائة سنة مـــن الحـــبس وسأقسمها بينكم!.

فهذه هي الصّورة الجليّة للمهازل التي كانت تجري ولازالت، وهكذا كانوا يتلاعبون قـــبّحهم الله بمـــصائر الآلاف و الآلاف من عباد الله المؤمنين ولا يستحيون رغم ذلك من تسمية الوزارة المعنية بوزارة العدل!،و لا عدل فيها والله،و لكنّه الجور و الظّلم،و هو ظلمات يوم القيامة،و قد قال عليه الـــصّلاة و الـــسلام في الحديث الصّحيح:" القضاة ثلاثة ،قاض في الجنة واثنان في النار، قاض عرف الحق فقضى به فهو في الجنـــة وقاض عرف الحق فقضى بخلافه فهو في النار وقاض قضى على جهل فهو في النار"

كانت هذه لمحة خاطفة عن وزارة العدل الجزائرية و ما حوته من محاكمات عادلة ليعلم النّـــاس المـــستوى الرّاقي الذي بلغه العدل و القضاة العادلون في بلادنا.

و نعود الآن إلى السجون بعد أن يكون السجين قد عرف حكمه الجائر و رجع إلى زنزانتـــه لتبـــدأ معـــه المأساة، و التي قد تطول لسنوات و سنوات.

فمن المعالم البارزة و المشاهد المتكرّرة التي يعيشها السجناء هي العقوبات اليومية التي تنال البعض منهم لأتفه الأسباب، و التحرّشات التي يتعمّدها الحرّاس الزبانية لإشباع نزواتهم الشيطانية.

فمن الموبقات التي تعاقب عليها بعد اتّهامك بها مثلا:

لماذا نظرت إليّ بتلك النظرة؟ و لماذا لم تطأطئ رأسك ؟ و لماذا لم تضع يديك وراء ظهرك وأنت تمـــشي؟ ولماذا رفعت صوتك بالآذان؟ و لماذا تبسّمت؟ ولماذا لم تلق علينا السّلام، أنحن كفّار؟! ولماذا....؟.

و القائمة طويلة لا تنتهي من هذه الإتّهامات السّخيفة التي يتذرّع بها هؤلاء لتسليط العقوبات المؤلمة علـــى المساجين.

و العقوبات تختلف من الضرب بالسياط و القضبان الحديدية و العزل التّام في الزنزانات مع تعرية السّجين و حرمانه من الغطاء في الشتاء البارد، و تجويعه مدّة طويلة قد تصل إلى ثلاثة أشهر إلى غيرهـــا مـــن أنـــواع التعذيب.

لا أنسى كذلك بعض المشاهد التي رسخت في ذهني و لايمكن أن تمحى، فمنها منظر للزبانية الحرّاس و هم يعذّبون أحد الإخوة بعد تعريته و تقييده، وأحدهم يقول له: قل لي بأنّني ربك، وآخر يقول لـــه: أســـجد لنا..إلى غيرها من تلك الألفاظ الكفرية التي فاقت في قساوتها ما قرأناه في السيرة النبويـــة مـــن تعـــذيب المشركين للصّحابة الذين أسلموا –رضي الله عنهم- ليفتنوهم عن دينهم، فحسبنا الله و نعم الوكيل.

لا أنسى أيضا"الصراط"كما يسمّيه إخواننا،و هو طريقة معتادة أيضا و تكون كما يلي:

يصطف الحرّاس في صفّين طويلين متوازيين قد يصل طولهما إلى 100 متر ليكوّنا بذلك ممـــرا لا يتعـــدّى عرضه المترين، و يكون كل منهم قد تجهّز بقضيب حديدي أو بهراوة، ثمّ يبدأ المشهد المروّع بدفع المساجين الواحد تلو الآخر لإجتياز ذلك الصراط وما من خطوة تخطوها إلاّ وتنهال عليك القضبان الحديديـــة ذات اليمين وذات الشّمال وما أن تصل إلى نهاية ذلك الصراط إلا وقد انقطعت أنفاسك ونزف دمك و تهشّمت بعض عظامك ، والمحظوظون طبعا هم الذين يجتازونه في أسرع وقت، والباقون هم بين متساقط ومـــثخن بالجراح و فاقد لعينه أو أذنه ومغشيّ عليه.

و هذه الطريقة عادة ما تستعمل في العقوبات الجماعية والتحويلات بين السجون المختلفة.

كذلك التعرية الإجبارية للمساجين أمام بعضهم البعض كل أسبوع أثناء التفتيش، و قد يكون هناك أب و ابنه، أو أخ و أخاه يرى بعضهم عورة بعض، والويل كل الويل لمن أبى أن يخلع ثيابه فسيناله قسط كبير من الضرب المبرح.

أمّا الظروف المعيشية للسجناء فهي ظروف أقل ما يقال عنها أنّها ظـــروف لا تفـــي بـــالحقوق البـــسيط للحيوانات فضلا عن العباد.

فالاكتظاظ العجيب للسجون كان سمة بارزة بعد أن حُمّلت القاعات والزنزانات ما لا طاقة لها به، فتراهم أحيانا يحشرون 150 سجينا في قاعة صغيرة طاقة الإستيعاب فيها لا تتعدّى العشرين(20)سجينا، فتصبح كعلبـــة الـــسردين في أحـــسن الحـــالات،و كانـــت المـــساحة الإجماليـــة بعـــد القـــسمة في بعـــض الأحيان:20سم×100سم وهي مساحة لا تكفي حتّى للجلوس فضلا عن النوم، وربّما اتفق الإخـــوة في بعض الأحيان على التناوب في النوم.

أظف إلى ذلك الإختناق والنقص الملاحظ في الأوكسجين والهواء النقي، فمثلا في سجن تمنراست(و هي ولاية في أقصى الجنوب الجزائري)لا أزال أذكر كيف حشرونا في إسطبل حديدي وكان عددنا حوالي 120 سجينا و ذلك في الصيف الحّار، فكان جوا لا يطاق نظرا للروائح الكريهة والنقص الكبير في التهوية، وإضطررنا حينها لأن نتناوب على تلك النوافذ الصغيرة جدّا كي نستنشق بعض الهواء النقي.

و لا تسأل بعدها عن الأمراض الناتجة التي انتشرت بصورة كبيرة، والقمّل الذي أصبح ملازما لنا بأعداد غزيرة متزايدة لا داعي لذكرها حتّى لا يتقزز القارئ.

نفس الشيء يقال بالنسبة لسوء التغذية التي يلقاها السجين هناك، وأعترف أنّني طالما بحثت عن الجواب للسؤال المحيّر الذي كان يراودني في أزمان سابقة حين مشاهدتنا للصور المخيفة لضحايا المجاعة في الصومال أو بعض دول جنوب إفريقيا، وكنت حينها أتساءل كيف يمكن للجسم البشري أن يصل إلى هذه النحافة وهذه الصورة المخيفة ؟

و السؤال بقي في مخيّلتي و لم أجد له جوابا إلاّ في سجن تمنراست خلال الأشهر الأولى هناك بعد المعاناة التي عيشناها هناك من تجويع وقهر حتّى أصبحت أجسام الإخوة شبيهة بتلك الصور التي طالما تساءلت عنها.

حتّى المأكولات التي كان يأتي بها أهالي المساجين في الزيارات النادرة والنادرة جدا كان الحرّاس يسرقونها و ينهبون كل المحتويات التي تكون داخل القفاف.

فهذه نظرة عامّة على المعاناة الدّائمة و التعذيب المتكرّر و الإنتهاكات الصارخة و التجويع و الترويع و هي كلّها سمات بارزة للحياة اليومية للسجين و التي قد تطول لسنوات عديدة بكل قسوتها و أهوالها.

فيا ترى أين هي دولة القانون التي طالما تبجّحوا بها؟ و أين هو العدل؟ بل أين هي المعاملة الإنسانية التي من المفروض أن تعطى لأكبر المجرمين فكيف بأبناء الإسلام البرآء الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق إلاّ أن يقولوا ربّنا الله؟!.

لقد علّمتنا التجارب القاسية وغياهب السجون الظّالمة وطاولات التعذيب الوحشي، على أنّ القيد والسجن عند هؤلاء الطواغيت مذلّة ما بعدها مذلّة.

و نسوقها نصيحة خالصة من قلوبنا إلى شباب الإسلام من المشرق إلى المغرب ممّن لم يعرفوا بعد حقيقة السجون عند هؤلاء المجرمين فنقول:

خير للمسلم الحر أن يعيش طول حياته مشرّدا ومطاردا في قمم الجبال، والشعاب و الوديان، والصحاري والقفار، معانقا لرشّاشه، و معتزّا بدينه، و محيّيا لقضيّة الجهاد في قلبه، و مدافعا عن الإسلام و حرماته، ثمّ قتلة في سبيل الله خير ألف مرّة من أن تعيش يوما واحدا ذليلا في ظلمة الزنزانة يهينك نجس من الأنجاس!.

و أقول لهم مقلّدا لأبيات عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

و لكنّني أرجوا من الله مغفرة وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو رشّة برصاص طاغ ظالم تمزّق القلب والأحشاء والكبدا
و ذلك بعد عيشتي في جبل أخالط الوحش والأسقام والبردا
فخير من حياة الذّل ملحمة تدّك عروشهم و تهدّهم هدّا
فعش عزيزا للسيف ممتشقا أو مت كريما باسما أسدا

دعاة و رجال نالوا حظّهم من السيف و السوط و النكال

قليل هم الرجال الذين يموتون ليحيا غيرهم، و يحترقون في صمت و قد أضاءوا الطريق للأجيال من بعدهم، فما أجمل أثرهم على النّاس وما أسوأ أثر النّاس عليهم.

فلنبحث في صفحات التاريخ الطويل، ولنحصي الملمّات التي أحاطت بالأمّة الإسلامية عبر العصور، ثمّ لنتساءل كم هم الدعاة الذين و قفوا كالطود الشامخ وقفة أبي بكر الصدّيق و قد خالفه النّاس، أو وقفة ابن حنبل والفتنة تموج كالبحر من حوله، أو ابن تيمية و هو يجدّد الدّين بعد أن خاض معركة السيف و القلم.

هذا العصر هو من أحوج العصور إلى تلك النماذج النّادرة و قد إجتمعت فيه ردّة الحكّام بفتنة المأمون و جحافل التتار ثمّ تحالف الثالوث الخبيث بأسياده من يهود و نصارى و ملحدين فتكوّنت أسود صفحة في تاريخ الإسلام.

لكن من رحمة الله بهذه الأمّة أن لا تنقضي قبسات من نور تضيء هنا و هناك في محاولة حثيثة و دائمة لرفع ذلك السواد العريض الذي أناخ بكلكله على صدر الأمّة.

و لقد كانت التضحيات كبيرة كبر المأساة، و قوائم الشهداء من الدعاة و الرجال الذين نالوا حظّهم من السيف و السوط و النكال هي قوائم عريضة ممتدّة من الخليج إلى الأطلسي.

لقد رأيت و أنا أذكر محنة الجزائر وما يعانيه أبناء الإسلام من جرائم الحكّام فيها، أنّه من الإعتساف أن نضرب صفحا عن بعض الأسماء من السابقين من الدعاة العاملين و الرجال الصادقين،الذين حملوا همّ الإسلام في قلوبهم فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا.

ووالله كم كان يحزّ في نفوسنا أن نرى كثيرا من الجرائد الوطنية و قد خصّصت الصفحات الطويلة لموت ذلك المغنّي الفاجر الذي سخّر حياته لترويج بضاعة المجون و الخنا،أو أن تشاهد حصصا تلفزيونيّة كثيرة تنشر مآثر ذلك الطّاغية الذي مازالت يداه ملطّخة بدماء شعبه. بينما لا تسيل الأقلام المأجورة بقطرة حبر واحدة لتكتب ولو حرفا عن ذلك الداعية المضطهد الذي سخّر حياته لقضيّة الإسلام و المسلمين ثمّ كان جزاؤه رصاصة في رأسه و هو حبيس زنزانته في سجن سركاجي.

أو أولئك الأبطال من الشهداء الذين قتلوا في ميادين الجهاد،أو أعدموا وراء القضبان،أو لا يزالون يئنّون في قيودهم في السجون الجزائريّة المنتشرة بكثرة.

الدّاعية المغتال الشيخ يخلف شرّاطي –رحمه الله–و الذي نحسبه شهيدا عند الله،هو من الدعاة الذين لم يُنصفوا و نسيتهم ذاكرة كثير من الجزائريين رغم أنّه من الرجالات الذين إذا ذكروا فلا بد لهم من وقفة للترحّم والذكرى.

لقد كان رحمه الله إماما و مدرّسا في حي الجبل بالعاصمة، و قد كان متخصّصا في علم أحكام التلاوة بعد أن درس مدّة في الحجاز وتلقّى إجازات هناك ثمّ رجع إلى الجزائر لينشر علمه و يسهم في الدعوة إلى الله.

و كان رحمه الله من الأوائل الذين صدعوا بكلمة الحق و أفتى بوجوب قتال الحكّام المرتدّين في الجزائر، و طورد ثمّ ألقي عليه القبض، و بدأت معه رحلة التعذيب الطويلة لإرغامه على التراجع عن الفتوى التي أصدرها، فثبت ثباتا عجيبا إلى أن لقي ربّه بعد سنوات من التعذيب.

أذكر جيّدا تلك الأيّام حين لقيته في مركز التعذيب"شاطوناف" رمضان 1413هـ و الزبانية ملتفّون من حوله ينهشون جسمه الضعيف وهو يكبّر وهم يسألونه في حنق شديد:

أنت الذي أفتيت بقتل الشرطة و الدرك ؟!..

فيجيب رحمه الله: أنا لم أفت بقتل الشرطة فقط، بل أفتيت بوجوب قتال كل من يقف ضد قيام الدولة الإسلامية!.. يا ناس هذا ليس كلامي بل كلام علماء الإسلام وأقوال سلفنا الصّالح عبر العصور .. وراح رحمه الله يسرد فتاوى العلماء في ثبات لا مثيل له، و هم ينهالون عليه باللطم والركلات.

و ظلّت هذه الصورة تتكرّر معه هناك، و بعد دخوله السجن و حتّى مقتله رحمه الله.

و لقد ابتلي ابتلاء شديدا حتّى نقص وزنه كثيرا، و أصبح هزيلا نحيفا بصورة ملفتة، و ظلّوا يساومونه طيلة الأعوام التي سجن فيها و لكنّه لم يجبهم، ثمّ جاءت مجزرة سجن سركاجي ليغتنم الطغاة الفرصة و يجعلوه رقما من أرقام ضحاياها، بل من أوّل الرؤوس التي اختارتها أيدي القنّاصين، فأصابته رصاصة في رأسه لترديه قتيلا بعد أن بذل نفسه و أعماره لإرضاء ربّه، فرحمه الله رحمة واسعة.

الشيخ منصوري المليانى-رحمه الله-هو أيضا من الرجالات الأوائل الذين نفّذ فيهم حكم الإعدام بالجزائر، وهو من المفجّرين البارزين للجهاد في الجزائر، وقد كان رحمه الله من قدماء جماعة بويعلي رحمه الله .

سجن في الثمانينات ثمّ أطلق سراحه بعدها ليكوّن جماعة هي من أولى الجماعات الجهادية، لكن شاء الله عزّوجلّ أن يقع في الأسر بعد أن وقع اشتباك بينه و بين الشرطة وسقط جريحا.

وتمّت محاكمته هو و غيره من الإخوة المتهمين بقضيّة تفجير المطار، و كانت تلك المحاكمة يوما فريدا، فقد ثبت رحمه الله على مواقفه وقالها صراحة للقضاة: حتّى لو أطلق الله سراحي فوالله سأعيد الكرّة و أحمل السلاح وأقاتلكم، فحكم عليه مع كثير من الإخوة بالإعدام ثمّ نفّذ فيهم الحكم بعدها، فرحمهم الله رحمة واسعة.

كذلك عمر عولمي، و محمّد علاّل، وعبد القادر شبّوطي، والشيخ عطيّة، وأبو مصعب عبد المجيد، وشريف قوسمي، وأحمد الود.. وغيرهم كثير وكثير من الذين نحسبهم شهداء في أرض الجزائر المسلمة.

فهي أسماء بارزة ممّن قضى نحبه و أدّى ماعليه و حسبه أنّه بذل نفسه ذودا عن دينه و قد انقضت محنته و قد ترك وراءه آلافا وآلافا من إخوانه ممّن ينتظر وسلوانه الأكبر في محنته و مايقاسيه من شدائد وآلام أن يرزقه الله إحدى الحسنيين.

و من الآلاف المؤلّفة الشباب المضطهد الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربّنا الله، فهم بين مجاهد و طريد، ومأسور وشريد، لم تسلّط عليهم الأضواء، و لم يذع صيتهم في السماء ، و أغلبهم فقراء وضعفاء، فهي سنّة الله في أنصار الدعوات، و هم أتباع الرسل، بهم يعزّ الله دينه، و يمضي سنّته في مصارع الظّالمين.

فبهؤلاء و أمثالهم، و بتضحيّاتهم و آلامهم، سيصاغ تاريخ الجزائر المسلمة، و قد ذكرنا بعضا من الأسماء، و من لم يذكر أكثر بكثير، و نحن نأمل أن تتناول مؤلّفات أخرى هذا الموضوع بتفصيل أشمل من هذا حتّى تبرز للأجيال القادمة القدوة الحسنة من السابقين الصالحين بدل الغثاء الزّائف من الطغاة و المجرمين.

ملف المفقودين

قضيّة المفقودين هي من القضايا التي أخذت بعض الإهتمام من طرف بعض المحامين و الشخصيات التي تعتني بحقوق الإنسان و حتى بعض الأحزاب السياسية في الجزائر.

و هذا الإهتمام تختلف أسبابه بين نوايا حسنة ربّما لمبادئ يؤمن بها أصحابها،و نوايا سيّئة لا تعدوا أن تكون متاجرة بالآلام و الدماء،أو محاولة لكسب أهداف سياسيّة مقيتة.

و لقد رأيت أنّه من الترتيب المنطقي أن تذكر قضيّة المفقودين تبعا للجريمتين السابقتين من جرائم الحكام في الجزائر ألا و هي جريمة التعذيب و السجون.

و هذه الجريمة الثالثة التي طالما تستّرت عليها السلطة في الجزائر و حاولت كتمانها رغم هول الأرقام إلاّ أنّها لم تفتأ أن افتضحت وانكشفت أمام الصراخ المتزايد و المطالبة الدائمة لأهالي المفقودين و هم يجوبون الشوارع و يرفعون اللاّفتات منددّين و مطالبين بإلحاح أن يكشف عن المصير المجهول لأبنائهم و أزواجهم.

و لقد كانت المناظر مؤلمة و مؤثّرة لتلك العجوز التي تبكي و تصرخ مطالبة أولئك المجرمين بأن يردّوا لها ابنها الذي اختطفته المخابرات الجزائرية منذ أعوام و لم تعلم بعد مصيره:أهو تحت التراب أم فوقه؟!.

و تلك المرأة التي تتهاطل دموعها لسنوات و أبناؤها حولها يتساءلون كل صباح عن مصير والدهم الذي أختطف ذات يوم أمام أعينهم و لم يرجع.

و حقّ لهؤلاء أن تزداد آلامهم يوما بعد يوم إذا بقيت علامات الإستفهام دون إجابة،وكان من الممكن أن تسكن تلك الآلام و تهدأ لو لقيت أجوبة صريحة عن مقتل المفقودين أو كونهم في السجون،لكن لأسباب يعرفها الطواغيت جيّدا ستبقى تلك التساؤلات دون إجابة.

و حتّى الرئيس الجديد الطّاغية "بوتفليقة"و الذي أكثر من الضحك على شعبه لم يعط أيّ إجابة صريحة بعد مطالبته من طرف أهالي المفقودين،بل راح يراوغ و يتشدّق بالألفاظ كعادته،و هو الرئيس الذي جاء بالوئام و المصالحة و السلم،فكان ملف المفقودين لوحده كافيا لأن يكذّب تلك الشعارات الزائفة و الخدع المنمقّة.

فأيّ وئام هذا الذي يتحدّث عنه مع هذه الأرقام الهائلة من عشرات الآلاف من أبناء الإسلام الذين بقيت مصائرهم مجهولة،هذا فضلا عن مئات الآلاف من الذين قتلوا في التعذيب و الذين لا يزالون في السجون.

و لنرجع الآن إلى السؤال السابق،و لنتساءل عن السر الكبير الذي ظلّت السلطة المجرمة تصرّ على كتمانه و جعله من الملفّات المغلقة.

و الحقيقة المرّة التي يرويها كثير من الإخوة الذين عايشوا التعـــذيب و تنقّلـــوا بـــين المراكـــز العديـــدة للإستخبارات،هي تلك الشهادات المتواترة و الصادقة التي إذا علمت علم معها السر في ذلك التكتّم الكبير.

فقد ذكر الإخوة الناجون أن كثيرا من المفقودين هم في الحقيقة محتجزين في مراكز سريّة في ثكنات خاصّة للجيش الجزائري و ظروفهم يعجز اللسان عن وصفها .

و إذا كانت السجون الجزائرية المعلنة قد عرفنا حالها و ماحوته من تعذيب و بشاعة تجلّ عن الأوصاف،فيا ترى كيف هي حال هذه المحتشدات السريّة و التي ظلّت طيّ الكتمان طيلة عشر سنين كاملة؟!.

إذن فالصورة المخيفة لتلك المحتشدات هي الوجه الحقيقي و الغير معلن لملف المفقودين،و آلامهم و معاناهم التي تفوق كل تصوّر هي حقيقة أخرى تنظاف لذلك الملف الأسود.

بقي الآن فقط التساؤل الأخير عن الحكمة من إحتجاز هذه الأعداد الكبيرة في تلك المراكز السريّة طـــوال هذه السنوات؟..

فحسب معرفتنا المتواضعة لهؤلاء المجرمين يمكننا أن نقول إجابة عن ذلك:

هي استغلالهم في استخراج معلومات بعد استنطاقهم في فترات لاحقة لأحداث مستقبلية.

أو ربّما استعمالهم في سيناريوهات متلفزة لاحقة.

أو ربّما سيكونون أكباش فداء إذا أراد المجرمون تصوير انتصارات جديدة على "الإرهاب" و كان لا بد لهم من جثث تمّ قتلها حديثا.

و قد يكونون أيضا جرذان اختبار تجرّب فيهم الأسلحة و السموم الحديثة التي زوّد بها الكفرة الأمريكان و غيرهم هؤلاء المجرمين في حربهم على الإسلام.

فكل هذه الإحتمالات ستبقى واردة دائما،و بناءا على ذلك فإنّه من غير المنتظر إطلاقا أن تعطى إجابات و لو جزئيّة عن ملف المختطفين لا عاجلا و لا آجلا.

و ستبقى قوائم المختطفين مفتوحة و آلام أهاليهم متزايدة،و تكتّم السلطة على هذه الجريمة سيبقى متواصلا مع سبق الإصرار و الترصّد!!.

المجـــازر البشعـــة..
أو سياسة: أقتل بعض الكلاب تَسُدْ على الباقين!

الحَقُّ يُقَال.. لو لم يكن من جرائم هؤلاء الحكّام إلاّ هذه الجريمة النكراء لكانت كافية لوحدها لأن يـــصنّف هذا النظام على أنّه أبشع نظام عرفه العصر الحديث..!

عشر سنوات و دم الجزائريين يترف بلا إنقطاع،ليركع لجلاّديه أو يلزم الحياد..عشر سنوات و قرى تبـــاد بأكملها.. ومداشر تحصد من ألفها إلى يائها لتنعم عصابة الإجرام في قصورها الآمنة،و ملاذاتها المطمئنّة بعد أن أحالوا نهار الجزائر إلى ليل حالك شديد السواد..!

قد يقول قائل أنّ هذا كلام فيه مزايدة و مبالغة، فكل الأنظمة العربية العميلة لها أوسمة لامعـــة،و ســـوابق مشهودة في هذا الميدان.. و لكن نقول:نعلم أن النظام السوري مثلا أباد "حماة" بأكملها،و النظام العراقـــي قد محى "حلبجة" من الخارطة،و لكن أن تستمرّ مثل تلك المذابح والمجازر كل يوم أو شهر طيلـــة عـــشر سنوات ثمّ يتستّر عنها أولئك المجرمون،بل يلصقونها لغيرهم !..بل يستغلونها إلى أبعد حد لصالحهم.. فهاهنا تكمن العبقريّة الخسيسة لهؤلاء الخبثاء..!!.

إنّ المثل القائل"جوّع كلبك تسُدْه" قد طوّره هؤلاء الخونة،و صاغوه على شـــكل آخـــر "اذبـــح بعـــض الكلاب..تسُدْ على الباقين..!" و هاهنا تكمن العبقريّة الخسيسة لهؤلاء الخبثاء..!.

النظام الجزائري نظام له باع طويل في قتل الأنفس البريئة، و لا زالت ذاكرة الجزائريين تذكر أحداث أكتوبر 1988م و أحداث جوان 1991م وكيف قتل الجيش الجزائري المئات من الشباب المـــسلم الـــذي أراد التغيير.. وما المجازر المرتكبة بعد ذلك إلاّ امتداد لتلك الجرائم.. وحلقة أخرى في مسلسل لم تنقض حلقاته بعد.

قضيّة المجازر المرتكبة هي قضيّة شدّت أنظار العالم بأسره إلى هذا الشعب الذبيح الذي ينحر كل يوم..و لا تكاد تنقضي مآتمه مع جلاّديه..و لو كان الإنصاف يسود الأوساط الإعلامية،و لم تكن السياسة تتلاعـــب

بالأرقام لكانت معاناة الشعب الجزائري تتصدّر القائمة قبل غيرها بلا منازع..و بيننا الأرقام فاسألوها لـــو كانت تنطق..!.

و لنكن صرحاء..كم عدد القتلى يوميا في فلسطين..و في الشيشان..أو في أفغانستان..أو في العراق..لا أظن أن العدد يبلغ النصف مما يقتل في الجزائر..و الدم هـــو الـــدم ســـواءً كـــان جزائريـــا أو فلـــسطينيا أو أفغانيا..فالمسلمون تتكافؤ دماؤهم.. و لكن كما ذكرت فيما مضى أنّ أبناء الإسلام في الجزائر لا بـــواكي لهم..!.

و نحن عندما نتحدّث عن قضيّة المجازر اليوم في الجزائر فلا يمكننا أن نتحدّث عنها بمعزل عن المعارك الدائرة بين المجاهدين وهذا النظام الحاكم.

فقد كان من المعضلات التي أزعجت أكابر المجرمين في هذا البلد وجود هذا التعاطف الكبير لشرائح واسعة من الشعب الجزائري مع المجاهدين، فكان هذا التعاطف لوحده جريمة لا تغتفر وجرما كافيـــا في نظـــرهم ليستحق الشعب أقصى العقاب.

و قد سبق أن ذكرنا المقولة الخبيثة لرئيس المخابرات على أنّهم مستعدون للقضاء على 3 ملايين كي يستتب الأمن.

و هكذا كانت هذه المجازر ترجمة لتلك النظرة الحاقدة، و سيفا يسلّط على رقاب المستضعفين ، و كانـــت الأهداف المرجوّة من وراء ذلك كثيرة و منها:

- محاولة قلب التأييد الشعبي للجهاد بتشويه المجاهدين و تأليب الناس عليهم.
- قمع و ترهيب المتعاطفين والمؤيّدين وقهرهم والتنكيل بهم حتى يرتدعوا عن ذلك و يعتبر غيرهم.
- فرض التسلّح على القرى و المداشر و إجبارهم على حرب المجاهدين، وهذا طبعا بعد تنفيذ مجزرة أو أكثر في تلك القرى ونسبتها إلى المجاهدين زورا.
- الأنتقام من أهالي المجاهدين ومن الأحياء المعروفة بتعاطفها مع المجاهدين لأنها في نظرهم أشبه بحبـــات الطماطم الفاسدة لا بد أن تُـــزال حتى لا تمرض بقية الحبّات، و هذا الإنتقام يكون بعد كل عملية جهادية ناجحة يقوم بها المجاهدون، و كمثال على ذلك المجازر الجماعية التي قام بها الجـــيش في حـــي الـــشرارية بالعاصمة سنة 1994م و قد كانت الحصيلة في ليلة واحدة أكثر من 70 قتيلا، و غيرها كثير من مثل هذه المجازر في الكاليتوس و بن زرقة و القصبة و بني مسّوس، بل كثير من الأحياء و البلديات والولايات كانت مسرحا واسعا لهذه الإنتقامات البشعة..

- محاولة كسب تعاطف الرأي العام الداخلي والخارجي بعد إلصاق تلك الجرائم للمجاهدين و مايصاحب ذلك من مسرحيات تلفزيونية هزيلة الإخراج، و تضليل إعلامي شرس، فإذا انضاف لذلك ضعف المجاهدين إعلاميا و نقص إمكاناتهم الماديّة إكتملت الصورة المرجوّة، فيظهر المجاهدون على أنّهم مجرّد إرهابيين لا قضيّة لهم، وليس لديهم أهداف مشروعة بل هم مجرّد قتلة للنساء والشيوخ والأطفال..
- محاولة فتح جبهات أخرى على المجاهدين وتحويل مجريات الحرب إلى قتال بين المجاهدين والشعب، وهذا بعد أن عجزت القوّات النظاميّة على الصمود أمام المجاهدين..

فهذه بعض الأهداف الخسيسة التي خطّط لها هؤلاء الطغاة لكسب حربهم على الجهاد بأي ثمن كان .. وبأي طريقة ممكنة ، فالغاية تبرر الوسيلة ولا يهم أن يؤدي ذلك إلى إبادة الشعب الجزائري عن بكرة أبيه، فهم لم ينسوا ولن ينسوا طبعا أنّه شعب مسلم إختار يوما ما أن يحكم بالإسلام وأن تقوده الأيدي المتوضئة الطاهرة.. و تلك جريمة عندهم لا تغتفر..!.

إن المثل القائل "أسد عليّ و في الحروب نعامة" هو مثل ينطبق إلى حدّ كبير على النظام الجزائري و على جيشه الوثني الذي ضرب أمثلة حيّة في استئساد النعامة و خوضها بطولات كبيرة على شعبنا المسلم تمخّضت عن عدّة مجازر بارعة كان ضحيّتها النساء والشيوخ والأطفال.. وهي وصمات عار ستبقى شاهدة على بشاعة المرتدّين وعظم جرمهم في حق المسلمين..

بقي أن نقول أنّه من باب الإنصاف التذكير على أنّ هذه المجازر ليست كلّها من صنيع النظام بل هناك قسط كبير منها من تنفيذ الجماعة الإسلامية المسلّحة، لجهلهم أوّلاً، ولإحتمال اختراقهم من طرف الإستخبارات الجزائرية وهو الشيء الذي تواتر بين الناس لكن ليس لدينا أدلّة ملموسة.

و لكنّ الأمر المهمّ الذي يمكننا تأكيده وهو أنّ هذا النظام الخبيث قد استغلّ ذلك استغلالاً بشعا إلى حد كبير، ووجّهه بما يخدم أهدافه السابقة، و لقد حاول النظام بكل ما أوتي من قوّة التعتيم على جرائمه.. و لكن و لله الحمد قد شهد شهود من أهلها، وتواترت إعترافات كثيرة من ضباط وضباط صف على أن الجيش الجزائري واستخباراته كانا ضالعين بصفة مباشرة في تلك المجازر..

و اليوم نقول: قد بدأ الخرق يتّسع على الراقع.. وجدران التعتيم قد بدأت تتشقق و تتهاوى..و قد أصبح الجنرالات الخونة أوضح من أن يشار إليهم بالبنان بأنّهم هم صانعوا التوابيت الجماعية.. و أنّهم هم الدّاء الدّفين الذي يجب أن يجتثّ بكل قوّة من هذه الأرض الطاهرة التي فتحها وسقاها آباؤنا بدمائهم... وأنّ هؤلاء الجنرالات ما هُم في الحقيقة إلاّ حشرات قذرة تسمّى عندنا " القُرادْ"..

هذا "القراد" الذي أثقل كواهلنا ومصّ عروقنا و تغذى من لحمنا وعظمنا!..

هذا " القراد" الذي لا يمكنه أن يعيش إلاّ بإمتصاص دم الضحايا.. فيحا بموتهم..و يزهو بحزنهم.. وينـــتفخ بطنه على حسابهم..

هذا "القراد" قد علم كلّ إنسان مجرّب أنّ هناك طريقة واحدة وواحدة فقط للتخلّص منه .. طريقة "الهرس حتى النخاع".. طريقة "الدّق بقوّة حتّى الفلق".. طريقة"الدك بشدّة حتّى السحق النهائي".. و حينها فقط يمكن أن تلتئم جراحنا.. وتكفكف دموعنا.. و تسكن آلامنا...

حينها فقط يمكن أن يقال أنّه قد قرب بزوغ الفجر الصادق على هذا الشعب المسلم الذبيح .. وحينها فقط "يفرح المؤمنون بنصر الله"..!.

الصحافة الجزائرية شريك في الجريمة

إذا ذكر فرعون، فليس بمستساغ أن نضرب صفحا عن السّحرة وهم الذين أضّلوا النّاس والعباد و وطّدوا له الملك في البلاد.

فكذلك الجرائم التي ارتكبها الحكام في الجزائر لا يمكن عزلها عن الجريمة المضاعفة التي ترتكبـــها الـــصحافة الجزائريّة في حق الشعب الجزائري المسلم من زور و خداع و كذب، وإشغال للأمّة عن القضايا المـــصيريّة بتفاهات جانبية، الغرض منها تثبيت الأوتاد لهؤلاء الخونة الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد.

والسلطة الرّابعة كما يسمّيها البعض، و يعنون بذلك الصحافة المقروءة والمرئيّة والمسموعة، قد كان لها دور كبير خلال هذه السنوات في تغطية كثير من الجرائم و التستّر عليها، و تبييض و جوه عصابة الإجـــرام، و

بالمقابل إلصاق التهم جزافا بأبناء الإسلام من مجاهدين ودعاة إلى الحق، و شنّ الهجمات تلو الهجمات لتشويههم و تنفير النّاس منهم، و لا نستثني من هذا إلاّ بعض الأقلام الصحافية المنصفة و قليل ما هم.

لقد نجحت السلطة خلال هذه العشريّة من السيطرة على قطاع كبير من هذه الصحافة و توجيهها بما يخدم مصالحها،حتّى أنّنا لا نبالغ إذا قلنا أنّ وراء كل جريدة جنرالا، أو على أقل تقدير أن داخل كل جريدة ضبّاطا في الإستخبارات يعرفون جيّدا تنفيذ الأدوار المنوطة بهم في الوقت والمكان المناسبين.

و من المضحكات المبكيات أن تسمّي هذه الصحافة نفسها بالحرّة و المستقلّة، و هي و الله لا حريّة فيها و لا استقلال، وواقعها الذي جرّبناه وذقنا مرارته يكذّب ادّعاءاتها الزّائفة.

لقد كان من المفروض أن تكون هذه الصحافة حاملة لهموم المسلمين، و مدافعة عن قضاياهم ومهيّأة صفحاتها للتعبير عن مبادئهم و نشر دعوتهم، و هل الصحافة إلاّ مساحة للحريّة المقيّدة بضوابط الشرع، وسلاحا من الأسلحة التي تنصر بها دعوات الحق، لكن الواقع في الجزائر هو أمر مغاير تماما.

فكل فاجر يمكنه أن يعبّر عن فجوره عبر صفحات الجرائد، و كل مغنّية تخصص لها لقاءات بطولها و عرضها لنشر مجونها و عهرها.

و كل طاغية يتحدّث و تسجّل أحاديثه و تذاع متى شاء و كيف شاء،و كل تافه قد تخصّص له مقالات ماراطونية ليقيء فيها بلا خجل،ولكنّ الدعاة المضطهدين،و المجاهدين وحدهم هم الذين يحرمون من هذا الحق،و تحاصر أقلامهم،و تكمّم أفواههم و لا تعطى لهم أيّ فرصة للتعبير عن آرائهم.

بل أكثر من هذا،إذ تكال لهم التهم و لا يعطوا حق الدفاع عن أنفسهم، و تشنّ عليهم الغارات لتشويههم عبر التلفزة و الإذاعة و بعض الجرائد المرتزقة في تكالب عجيب!!..

فأين هي الإستقلالية و الحريّة المزعومتين يا ترى؟! أم أنّ كل تلك الشعارات الفضفاضة هي في حق الديمقراطيين و العلمانيين و الملحدين،وأمّا الإسلام و أهله وأنصاره فهم كالأيتام في موائد اللئام.

و لنعط أمثلة ملموسة لما ذكرنا و هي قليل من كثير:

- عشرات البيانات التي يرسلها المجاهدون في الجماعة السلفية للدعوة والقتال، وعشرات المواقف المكتوبة والمسموعة التي تبعث إلى وسائل الإعلام ولا تنشر وتبقى طي الكتمان.
- المجازر العديدة التي ترتكب، و يتبرّأ منها المجاهدون في بيانات ورسائل إلى الجرائد لكنّهم لا يكتفون بعدم نشرها بل يلصقون تلك التهم بالمجاهدين زورا و بهتانا.

- عدم القيام خلال عشر سنين كاملة بتحقيق حول التعذيب الذي يمارس بشكل يومي، و لم تجرؤ أيّ جريدة على استجواب أحد الضحايا وهم عشرات الآلاف، يعرفون كثيرا منهم بأسمائهم وعناوينهم.
- عدم التعرض للجرائم المهمّة التي طالت أبناء الإسلام بالجزائر، و عدم تسليط الضوء الكافي عليها،كمجزرة سجن سركاجي،و سجن برواقية.
- عدم إنصاف دعاة الحق من أبناء الجزائر الذين اغتالهم الطغاة، وعدم تسليط الضوء عليهم كما يسلّطونه على حفلات المجون، وعلى وفاة المغنّين والفسّاق، و نعطي مثالين فقط: إغتيال الشيخ يخلف شرّاطي رحمه الله، والشيخ عبد القادر حشّاني رحمه الله.
- ترويج المصطلحات الظّالمة بغية التشويه،كالإرهاب والإرهابيّين، والتطرّف والمتطرّفين، و الدّمويّين، و المرتزقة، وعصابات الإجرام، و بقايا الإرهاب...إلى آخر قائمة الهمز واللمز والتشويه.
- عدم إعطاء حريّة التعبير للأطراف المعروفة بتعاطفها مع المجاهدين فضلا عن المجاهدين.

فهذه بعض الحقائق والصور التي تؤكّد بأنّه لا حريّة ولا استقلال في صحافتنا، ولكنّه الإنحياز الفاضح للحكّام والمناصرة اللاّمشروطة لهم ضدّ أعدائهم خاصّة من أبناء الإسلام.

قناة الجزيرة القطرية التي كانت أوّل وسيلة إعلامية تتيح بعض الحريّة المفقودة للدعاة و المجاهدين في نشر دعوتهم والتعبير عن آرائهم ومواقفهم كانت هي الأخرى محلّ انتقادات و هجمات عديدة،لأنّها قناة خرقت جدار الصمت والتعتيم الذي كان مخيّما على العالم العربي والإسلامي!!..و هذا من المفارقات العجيبة! لأنّه كان من المفروض أن تنظر هذه الصحافة المخذولة بعين الإحترام لهذه القناة،و أن تكون لها بمثابة القدوة في مجال حريّة التعبير المزعومة،لكن و على مبدأ"صديق عدوّي عدوّي"فقد نالت هذه القناة بدورها حظّا وافرا من السبّ و الشتم و القذف من صحافتنا الحرّة و المستقلّة جزاءا على مواقفها المشهودة !.

فهذه صور مختصرة لملامح الصحافة عندنا، و أيّ منصف عرف حقيقة الجرائم التي يرتكبها الحكّام في الجزائر سيدرك بلا أدنى ريب بأنّ الصحافة كانت شريكا مهمّا في الجرائم المرتكبة،و ستحمل أوزارها كاملة عن كل الدماء المسفوكة و الدموع و الآلام التي لازالت تخيّم على المستضعفين من أبناء الجزائر.

وإذا كان القرآن قد حكى لنا في قصّة موسى و فرعون عن توبة السحرة وإنابتهم ثمّ إستشهادهم،فإنّي لا أرى لهذه الصحافة الجزائريّة التي تورّطت حتى النخاع في مستنقع الفراعنة و شاركتهم في الإجهاز على الضحايا بأقلامها،و إشغال الأمّة و تمييعها بتفاهاتها،لاأرى مخرجا لها أحسن من خاتمة السحرة بتوبتها و

كشفها للحقائق و الملفّات ،ووقوفها إلى جنب أنصار الحق و لو كلّفها ذلك ما كلّف السحرة ،فلـــيقض الجنرالات مايقضون،فإنّه لا ضير أن تسحب الأعداد،أو يمنع المداد،أو تسجن الأجـــساد،إذا كـــان ذلـــك سيرضي ربّ العباد"إنّا نطمع أن يغفر لنا ربّنا خطايانا أن كنّا أوّل المومنين".

الخاتـــــمة

قال تعالى: **(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز)**.

وقبل الختام:

فهذه بعض الجرائم المرتكبة للنظام الجزائري العميل و ليست كلّها، ذكرتهـــا علـــى ســـبيل التـــدليل لا الحصر،فإنّ حصرها تعجز عنه هذه الصفحات، و تنقضي دونه الأعمار والسنوات، ولولا أن المقصود هـــو ذكر بعض الجرائم التي تستنكرها وتتفطّر لها قلوب بني آدم كلّهم،عربهم وعجمهم، مسلمهم وكـــافرهم، كبراؤهم وعامتهم ... لولا ذلك لكان هناك ذكر جرائم أفضع، و جنايات أبشع في حـــق الله ورســـوله

ودينه، بتبديلهم للشريعة، وموالاتهم للكفّار، وحربهم الشاملة على الإسلام وأهله.. و لعلّ ذلك يكون لـــه مقام آخر.

ولكن لأنّ وسائلنا محدودة وأعمارنا معدودة وأحوالنا مشهودة، فقد كانت هذه الكلمات نتاجا لما جرى به القلم من وحي الذاكرة التي رجعت بي إلى سنوات خالية..عايشتها لحظة بلحظة، و ترسّخت مـــشاهدها المؤلمة في ذاكرتي.. فكانت هذه شهادتي...

قدّمتها لقناعتي بأنّها موطئ يغيظ أعداء الله و أعداء رسوله لأنّهم هم الجلاّدون الحقيقيون للأمّة... ومـــن طبيعة الجلاّدين أن يغيظهم كشف الضحيّة لقبح جلاّديها..!.

هذه بعض الجرائم نقدّمها على كثرة الترحال، وندرة الإستقرار على حال.. وظروف تجلّ عـــن الوصـــف والمقال... ظروف لا يدركها من وضع قلبه في ثلاّجة.. ورضي بالمكتب المكيّف.. أو حلقـــات الـــدرس الهادئة وهو يحتسي جرعات من الشراب البارد، و يزعم رغم ذلك أنّه يريد التغيير!!..

..إنّها ظروف كل مجاهد فوق بطاح الخريطة الأرضيّة الممتدّة من المشرق إلى المغرب... ظروف المطاردة و التشريد ..و القصف العنيف.. والجوع و البرد و العراء.. والتنقل المستمر مـــن أرض إلى أرض..أرض الله الواسعة .. من جبل إلى جبل، ومن واد إلى واد.. فهذه هي الأجواء التي كتبت فيها هذه الكلمات، فـــوق جبال الجزائر الشمّاء ...

و نحن نخوض غمار هذه الحرب القاسية.. وأرواحنا فوق أكفّنا لا نملك غيرها، فعساها أن تكون عربونـــا صحيحا على صدق المحبّة، والغيرة على هذا الدين، والحرص على الثأر لمآسي المستضعفين من هذه الأمّـــة.. وستكون دماؤنا إن شاء الله تعالى دليلا ناصعا يتميّز به الصادق من الكاذب في زمن كثر فيه الأدعياء ...

هذه بعض الجرائم وما أكثرها!..نقدّمها إلى هذا العالم المتناقض الذي يدّعي أنّه ينصر المظلوم.. و ينـــصف الضحيّة.. و يحمي الضعفاء..!

فإذا به يصفّق للجلاّدين وهم ينحرون ضحاياهم.. و يُلْبِسُ وِسَامَ الشرف لمن باع الشرف، و خان أمّتـــه و دينه!.. و يستنكر بشدّة إذا انتفضت ذبيحة من بين الأشلاء لتصوّب بندقيتها نحو أكابر المجرمين وتـــرميهم برصاصة واحدة..فتتهاطل الإستنكارات والتنديدات من كل حدب و صوب"هذا إرهاب وتطرّف !!"..

فلأجل تلك المعاني كشفنا عن هذه الجرائم، ليعلم الناس أنّه لا بد للشرّ المسلّح من خير مسلّح !، و أن من سنن الله تعالى دفاع الله النّاس بعضهم ببعض، وأنّه لولا ذلك لهدمت صوامع و بيع و صلوات ومـــساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا...

و نذكّرهم بأن المثل يقول"مـــاذا يضر الشاة بعد سلخها" و نحن في الجزائر قد ذبحنا و سلخنا ألـــف مـــرّة !!..فذهب الدين..وذهبت الدنيا.. وليس ترك الجهاد هو الذي سيقلل الخسائر، و يحفظ الأنفس،بل فيـــه الحياة وردع الظالم وتقليل الخسائر ورفع الذل وإسترجاع العز والكرامة !!...

ونحن نهيب بكل مسلم قرأ هذه الصفحات فوجد فيها حقا يعتقده،أن يحمل معنا أمانة نشر هـــذا الحـــق،و العمل به،و تبليغه و عدم كتمانه..

و نهيب به أيضا أن يقف جنب فسطاط الحق، فإنّما هما اليوم فسطاطان لا ثالث لهما..فسطاط الإيمـــان..و فسطاط الكفر..فليختر كل واحد فسطاطه...فالحرب الشاملة على الإســـلام قـــد بـــدأت و جبـــهاتها تعدّدت..من الفليبين وأفغانستان وكشمير والشيشان، مرورا بفلسطين والعراق والجزيرة.. وصولا إلى مصر والجزائر والمغرب..

و كل أهل بلد أحقّ بنصرة أهل بلدهم.. كل واحد بما يملك، الكاتب بقلمه، والعـــالم والداعيـــة بخطبـــه وتحريضه، والمقاتل بنفسه، والمحسن بماله، والضعيف بدعائه فإنّه سلاح المستضعفين..

فيا خيل الله اركبي..! و يا أنصار الحق هاهي أبواب الجنّة قد فتحت.. وحورها قد تزيّنت..وأطيارها قـــد رفرفت.. فلم البخل على الله ؟!!..

أخي إن غزتك جيوش الغُمومْ و طـــاف بأُفْـــقِكَ طيف الهمومْ
و فـــاض بقلبك فيض الشجونْ فـــحيّ عـــلى جـــنّة يامُـــريـــدْ
و حَيَّ على طيرها قـــد تغنّتْ و حيَّ على ثمرها قد تـــدَلّـــتْ
و حيّ على حورها قـــد أعدّتْ فيا فرحتي إن قُـــتلت شهـــيدْ!!

و ختاما.. فأنا العبد الضعيف أحقر عند نفسي من أن أراها أهلا للكتابة في موضوع كهذا، لولا أنّي رأيت فراغا لم يملأ، و إحجاما عذره السيف المصلّت، و السجون المملوءة، فتقدّمت وكتبت هـــذه الكلمـــات.. وعزائي الوحيد أن لا أعدم عذرا، و أن يغفر لي ربي خطيئتي يوم الدين، فما كان من صواب وحق فمن الله وحده، و ما كان من خطإ و باطل فمن نفسي الظالمة ومن الشيطان..

فيا آلله يا ناصر المستضعفين، و يا قاهر الطغاة و الظّالمين، إليك نشكو ضعف قوّتنا، و قلّة حيلتنا وهواننا على النّاس، إلى من تكلنا؟ إلى عدوّ يتجهّمنا؟ أم إلى قريب ملّكته أمرنا؟ يا أرحم الراحمين! إن لم تكن غضبانا علينا فلا نبالي .. ولكن عافيتك أوسع لنا..

لقد قلت و قولك الحق.. و وعدت و وعدك صدق..أنّك تنصر عبادك المؤمنين..فاللهمّ أرنا في هؤلاء الطواغيت والكفار يوما أسودا، وعذّبهم بأيدينا فتشفى صدور قوم مؤمنين..

و أختم لنا بشهادة في سبيلك.. تحلّق بها أرواحنا في حواصل طير خضر ترفرف في جنّتك مع النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا..

و صلّ اللهم على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلّم.

كتبها: صلاح أبو محمّد

الفهرست

الإهداء.....3
المقدّمة.....4
قضيّة السجون و التعذيب.....7
بداية مسلسل التعذيب.....14
السجون المظلمة والمحاكم الظّالمة.....21
دعاة و رجال..نالوا حظّهم من السيف و السوط والنكال.....28
ملف المفقودين.....32
المجازر البشعة..أو سياسة: أقتل بعض الكلاب تَسُدْعلى الباقين!.....35
الصحافة الجزائريّة..شريك في الجريمة! 40
الخاتمة.....44

الفهرس.....48

2,65,4,63,6,61,8,59,10,57,12,55,14,53,16,51,18,49,20,47,22,45,24,43,26,41,28,39,30,37,32,35

64,3,62,5,60,7,58,9,56,11,54,13,52,15,50,17,48,19,46,21,44,23,42,25,40,27,38,29,36,31,34,33